مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

جهاد محمد بن عبد الكريم الخطابي (١٩٢١-١٩٢٦م) من جمهورية الريف إلى السعي لتوحيد الغرب الإسلامي

مصطفى العادل
باحث دكتوراه في اللسانيات العربية وقضايا الفكر الإسلامي
جامعة محمد الأول
وجدة – المملكة المغربية

مُلَخّص

بروم من خلال الأبحاث التي ننجزها في مجالات معرفية مختلفة، الاحتكام إلى مبدأ التكامل والتداخل بين العلوم والمعارف، والاستناد إلى النظرة الشمولية في فهم الظواهر والقضايا بمختلف أنواعها، وذلك اعتبارا لتباين السياقات المعرفية والحضارية والتاريخية المسهمة في ولادة الأحداث والعوامل السياسية والاجتماعية...، المسهمة في تشكلها وتطورها. يتحدث هذا البحث عن شخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي وثورته الريفية التي استمرت ما بين (١٩٢١-١٩٢٦م)، ضد الاحتلال الفرنسي والإسباني. ويحاول البحث قراءة الأحداث بوضعها في سياقها، وما كانت تعيشه معظم البلاد العربية والإسلامية في تلك المرحلة؛ حيث جاءت ثورة الخطابي ما بين الحربين العالميتين، في وقت تعاني فيه معظم البلاد العربية والإسلامية من الغزو والاحتلال الأجنبي، الأوروبي خاصة. لقد اهتم الباحثون في دراسات وأبحاث كثيرة بشخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي، وحاولوا إبراز أهم بطولاته التاريخية ضد الإسبان والفرنسيين في إطار المقاومة المغربية المغاربية، كما سعت أبحاث أخرى إلى إيضاح عالمية الخطابي وارتباطه بأوروبا وبلاد المشرق، ومع ذلك، فإننا لم نجد –حسب اطلاعنا دراسات استطاعت الجمع بين كل هذه القضايا، والتأكيد على أن رؤية الخطابي تتجاوز المقاومة من أجل الريف إلى السعي نحو توحيد الأمة الإسلامية، وفق خطة تدرجية تبدأ بتوحيد الغرب الإسلامي دون إهمال بلاد الإسلام، خاصة قلب الأمة، بيت المقدس وفلسطين. وللبحث في هذه القضايا اخترنا تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين تطرقنا في الأول إلى شخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي وسياق جهادة، الذي استمر في مرحلة ما بين الحربين العالميتين، ثم أشرنا في المبحث الثاني إلى وضع العالم الإسلامي في تلك المرحلة وسعي الخطابي إلى توحيد العالم الإسلامي. ثم أجملنا أهم الخلاصات في خاتمة البحث، ومنها أهمية قراءة الأحداث في سياقها التاريخي، واستحضار مختلف السياقات المسهمة في تشكلها، ومن ثم التوصل إلى أن شخصية الخطابي شخصية رجل مجاهد استطاع تحدي كل الظروف التي عاشتها الأمتين العربية والإسلامية في فترة ما بين الحربين العالميتين، وكان هدفها توحيد العالم الإسلامي لا جمهورية الريف فقط، كما ادعى بعض الباحثين ذلك، كما استند الخطابي إلى مرجعية إسلامية قوامها الإيمان بالله لا بأفكار المحررين الغربيين.

بيانات المقال:

تاريخ استلام البحث: ٣١ يوليو ٢٠٢٠
تاريخ قبـول النشـر: ١٦ أغسطس ٢٠٢٠

كلمات مفتاحية:
الخطابي؛ العالم الإسلامي؛ الدول العربية؛ الحرب العالمية؛ الثورة الريفية

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.21608/KAN.2020.185169

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
مصطفى العادل. "جهاد محمد بن عبد الكريم الخطابي (١٩٢١-١٩٢٦م) من جمهورية الريف إلى السعي لتوحيد الغرب الإسلامي".- دورية كان التاريخية.- السنة الثالثة عشرة- العدد التاسع والأربعون؛ سبتمبر ٢٠٢٠. ص ١٣٦ – ١٤٥.

Official website: http://www.kanhistorique.org
Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: mustaphaeladel123@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Inquiries: info@kanhistorique.org

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخِية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

يصعب في الحقيقة فهم تاريخ الدول العربية في مرحلة من المراحل؛ خاصةً تلك المراحل التي عاشت فيها أحداثا مفصلية، دون النظرة الشمولية الفوقية من جهة، والنظرة التكاملية التداخلية بين تلك الشعوب والبلدان من جهة أخرى. وينضاف إلى ذلك استحضار مختلف المعطيات، وأخذ مختلف الأحداث بعين الاعتبار، وإلا فإن الباحث سينظر بعين واحدة، ومن زاوية واحدة، فتغيب عنه المعطيات، وربما الحقائق حتى يظن أن غيره ممن نظروا من الزاوية الأخرى أو الزاويتين معا قد جاؤوا بالمغالطات والأخطاء فيما كتبوا من التاريخ. ولأن الموضوع الذي نحن بصدده في هذا المقام يهم وضع الدول العربية في مرحلة ما بين الحربين، فإن النظرة التداخلية والتكاملية والرؤية الشمولية مطلب أساس ومبتغى ضروري لفهم هذه الوضعية وتحليلها وتفسيرها، وبالتالي الخروج برؤية متكاملة ودقيقة على هذا الوضع، إذ به يمكن فهم الماضي وقراءة الحاضر قراءة صحيحة واستشراف مستقبل البلدان العربية أمام التحديات الراهنة والمستقبلية.

وإسهامًا في هذا المشروع العلمي المعرفي، اخترنا المشاركة ببحث في الموضوع، يكون منطلقه من الغرب الإسلامي، ومن شخصية مغربية كان لها دور كبير في تشكيل ورسم معالم معظم الأحداث في المنطقة في هذه المرحلة المدروسة، بل تجاوز دورها المحوري منطقة الغرب الإسلامي إلى العالم الإسلامي بأكمله. ويتعلق الموضوع هنا بشخصية سيدي محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي ولد سنة ١٨٨١م بقرية أجدير، والذي دخل التاريخ المغربي والإسلامي بجهاده ضد الاحتلال الإسباني والفرنسي، وبمواقفه الإيمانية، المخْلِصة، والملَخَّصَة في قوله: "إن الغرب العربي بالإسلام كان، للإسلام عاش، وعلى الإسلام يسير في حياته المستقبلية.

وتكمن أهمية البحث في مدى تأثير الرجل في الأحداث التي عرفتها منطقة الغرب الإسلامي بأكمله وليس المغرب فقط، فقد كانت له علاقات بباقي بلدان المنطقة وبلدان خارج الغرب الإسلامي مثل فلسطين -كما سيتضح من خلال البحث-. وإن إعادة قراءة شخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي مع وضعها بوضع البلاد العربية من شأنها الإسهام في فهم جديد لوضع المنطقة في تلك المرحلة المفصلية.

تسعى الدراسة إلى الإجابة على جملة من الأسئلة تصب معظمها على وضع المغرب في مرحلة ما بين الحربين العالميين، وكذا علاقة المغرب وجمهورية الريف بباقي بلدان المنطقة والعالم الإسلامي، وذلك من خلال استنطاق مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي وتآليف وكتب المقاومين ورجال الحركة الوطنية الذين عاشوا نفس الأحداث.

وفي السعي للإجابة على الأسئلة التي تتأسس عليها الدراسة، وتحقيق الأهداف المرسومة اخترنا تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة ومبحثين، تناولنا في المبحث الأول شخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي من منظور الأحداث التي عاشتها المنطقة في تلك المرحلة، مع التنبيه إلى المغالطات التي جاءت في مؤلفات ذوي قصار النظر حول الرجل، في حين خصصنا المبحث الثاني لوضع المغرب في تلك المرحلة وعلاقته بباقي بلدان المنطقة والعالم الإسلامي، من خلال حياة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي. أما الخاتمة فقد أجملنا فيها أهم الخلاصات والنتائج التي توصلنا إليها، وختمنا الدراسة بتوصيات في قراءة التاريخ وإعادة تصحيح التاريخ.

أولاً: محمد عبد الكريم الخطابي والحربين العالميتين

تكمن أمية هذا المبحث بالنسبة لموضوع البحث، وموضوع الكتاب في معرفة ما عاشته بعض البلدان الإسلامية فيما بين الحربين العالميتين، فليس بالضرورة أن نعرض الأحداث التاريخية سردا، إذ إن ذلك من وجهة نظري، عملية طبيعية أُلفت فيها تآليف كثيرة، لكن النظر إلى تلك الأحداث وإعادة قراءتها من زاوية بعض الأعلام والرواد الذين أسهموا في توجيهها وصناعتها، هو الذي بإمكانه أن يسهم في النبش في ذاكرة التاريخ، وربما في رفع الحجب عن حقائق مخفية، وأخرى أراد لها من كتب التاريخ أن تكون كذلك. وقد اخترنا الإشارة هنا إلى شخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي (١٨٨١-١٩٦٣م) ونشأته من جهة، ونقد الكتابات التي عرفت بالرجل وجهاده من جهة أخرى، فنزكي التي أنصفته، ونبين خلل التي ظلمته لقصور نظرها، وعدم استيعابها لحياة الخطابي، وعدم قراءتها في إطار ما عرفه العالم الإسلامي في تلك المرحلة، قراءة شمولية ومتكاملة.

١/١-محمد ابن عبد الكريم الخطابي

ولد محمد بن عبد الكريم الخطابي بقرية أجدير الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بين مدينتي مليلية وتطوان في الخامس عشر من شعبان ١٣٠١هـ-١٨٨١م، في أسرة علم ودين وتقوى، حيث كان والده عالما تقيا وعادلا في الفصل بين الناس.

وقد اشتهر آل الخطابي، بأنهم بيت علم ورياسة، وكان أحد أفراد الأسرة أستاذا في القصر الملكي يعلم أبناء السلطان، ويقال إنه خلف مؤلفات كثيرة تفرغ لكتابتها لأنه لم يشغله عن الكتابة والتفكير أبناء ولا حب ولا جاه، ومات في سن مبكرة. وقد كان القاضي عبد الكريم أبا ومعلما ومربيا لابنه محمد، قال السيد إدريس الخطابي، وهو ابن المجاهد محمد بن عبد الكريم: والحقيقة أن الفقيه عبد الكريم كان هو الأستاذ الفعلي لابنه محمد، وذلك في الفقه والدين عموما، والوطنية والسياسة، نعم لقد تأثر محمد بن عبد الكريم الخطابي ببعض أساتذته الذين تعلم عليهم في القرويين، ولكن الأستاذ الحقيقي الذي تدرب على يديه هو والده"[١]. فقد أرسلة إلى القرويين بفاس، وكان هدفه هو أن يؤهله ليخلفه في مركزة العلمي والقيادي.

ذكرت تآليف كثيرة أن أصول الخطابي تعود إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي لله عنه، وقد أشار إلى هذه الحقيقة بنفسه لجورج ماثيو في المذكرات، فهو من ذرية عمر رضي الله عنه، وهو قرشي[٢]. وخلال نشأته كان والده يعتمد عليه ليمثله في العديد من المناسبات الاجتماعية والسياسية، وخلال فترة دراسته بفاس، كلفه والده ببعثة سياسية لدى السلطان عبد العزيز سنة ١٩٠٨م، أبدى فيها دعم بني ورياغل للسلطان في محاربة معارضه الملقب بـ "بوحمارة". ثم ختم محمد بن عبد الكريم الخطابي رحلته العلمية الجامعية بثلاث سنوات قضاها في إسبانيا درس فيه القانون الإسباني[٣].

كان محمد بن عبد الكريم الخطابي رحمه الله مؤمنا صادقا لا يخاف في الله لومة لائم، وكان رجلا قرآنيا أثرت فيه تربية القرويين التي درس وتربى بها أربع سنوات، ولم تطمس نور الإيمان في قلبه وفقه الشريعة في عقله السنوات الطويلة قبل الحرب التي عاشر فيها الاسبان"[٤]. وكان معلما للعربية في أكاديميا اللغة العربية (...) كما كان محررا بجريدة (إيل طيليغراما) التي أنشئت سنة ١٩٠٢، وتولى الإشراف على القسم العربي فيها حينما استقر في مليلية[٥]. وفي علاقته بالإسلام واللسان العربي، كتب محمد الأوراغي في الإهداء الخاص بكتابه (التعدد اللغوي): "محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي اتخذ وأحرار الأمازيغيين من الإسلام عقيدة، ومن لغة القرآن قاعدة لاستنهاض المجاهدين من أجل حماية أمة القرآن في غربها من زحف الأوربيين"[٦]. وكان يزاول الترجمة والكتابة بالإدارة المركزية للشؤون الأهلية بمليلية، وعين سنة ١٩١٣م، قاضيا في مليلية، ثم ارتقى إلى قاضي القضاة بعده بعام واحد، وهو ما مكنه من تصدر الحراك الريفي وقيادة قبائل الريف، فقد كان رجلاً مثقفًا وعالمًا فقيهًا وخطيبًا متفوهًا مطلعًا على علوم التاريخ والقانون والإدارة[٧].

قضى محمد بن عبد الكريم الخطابي معظم حياته رفقة شقيقه السي محمد، حيث وجد نفسه ملزما بالدفاع على قضية الريف أمام الاحتلال الإسباني والفرنسي، وأطماع الدول الأوربية الغازية، وقويت همة الشابين المجاهدين وفاء منها لوصية والدهما القاضي المجاهد عبد الكريم الخطابي.

فقد سقط القاضي عبد الكريم الخطابي بعد اثنين وعشرين يوما من مرضه، وأكد محمد بن عبد الكريم الخطابي الروايات التي قالت بموت والده مسموما. جاء في مذكراته: "وكثيرون هم الذين يقولون إن والدي سقي سما، وإن كنت لا أستطيع تأكيد ذلك، إلا أنني أشعر في أعماق قلبي أن في هذا القول كثيرا من الحقيقة"[٨].

كان القاضي عبد الكريم لما أحس بدنو أجلة قد طلب ابنيه إلى فراشه وقال لهما (إنني ذاهب بعد أيام معدودات إلى ربي وخالقي، ووصيتي لكم أن تدافعوا عن بلادكم، لأن الإسبان أعداؤنا وأعداء الله"[٩]. أما المذكرات فقد جاء فيها غير ذلك، وهو بلسان محمد بن عبد الكريم نفسه، حيث قال: "وكان المرحوم قبل وفاته قد دعانا إليه فقال لنا: "إذا لم تستطيعوا الدفاع عن استقلال الريف وحقوقه فغادروه إلى مكان غيره"[١٠]، وفي كلتا الرسالتين دعوة قوية إلى الجهاد والدفاع عن الوطن والإسلام ضد العدو.

لقد خاض المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي معارك مصيرية في وقت "كان التفكير السياسي متدهورا، والنماذج التي كانت في أذهان الناس منحطة (...) رغم أن الصورة كانت قاتمة جدا، فقد كان الدافع قويا للعمل من أجل ضمان الاستمرار في نطاق العدل"[١١]. كما قاد أخوه السي محمد بدوره معارك كثيرة، واستطاع أن يحقق انتصارات كثيرة، وأن يلحق أضرارا وخسائر جسام بالاحتلالين الفرنسي والإسباني.

لم يكن محمد بن عبد الكريم الخطابي متميزا عن أهل الريف في مسكنه ولباسه، قال مراسل جزيرة شيكاغو: "وأول ما استوقف نظري عند وصولي إلى مركز قيادته بساطة المكان وخلوه من مظاهر الآبهة والعظمة، ولم يكن على الباب الخارجي سوى حارسين أما في الداخل فلم أر حارسا على الإطلاق، كما أنه ليس في مظهر بن عبد الكريم ما يميزه عن سائر مواطنيه حتى البسطاء منهم"[١٢].

لقد نظم محمد بن عبد الكريم الخطابي جمهوريته التي أسسها بدستورها وجنودها، ودافع عن البلاد وتوحيد الأمة في وجه دولتين أوربيتين غازيتين ودول أخرى حاولت مرارا احتلال الريف، ولم يكن لديه من الذخائر والسلاح إلا ما يسترجعه من المعارك التي يخوضها. واستطاع أن يحقق انتصارات تاريخية، إلى تحالفت فرنسا وإسبانيا واتفقتا على شن حملات مشتركة، والنزول بكامل قواهما ضد ثورة الخطابي ١٩٢٥م، فتم احتلال أجدير والسيطرة على تارجيست سنة ١٩٢٦م، فاستسلم الخطابي للفرنسيين وثم نفيه إلى أن حصل على اللجوء إلى مصر سنة ١٩٤٨م، فأسهم بعد ذلك في تشكيل لجنة تحرير المغرب العربي، ثم أسس جيش تحرير المغرب العربي، وبقي يناضل ويقاوم الاستعمار إلى آخر يوم في حياته، حيث توفي في القاهرة والتحق بالرفيق الأعلى في ١١ رمضان ١٣٨٣هـ الموافق لـ ٦ فبراير ١٩٦٣م ودفن بها.

١/٢-الخطابي المتعدد والحربين العالميتين

من المؤسف جدًا أن المؤرخين تجاهلوا بقصد أو بغير قصد ثورة الخطابي وجهاده ضد إسبانيا وفرنسا، وهذا التجاهل يبرزه النزر القليل من الدراسات التي كتبت في الموضوع. بل إن المؤسف أكثر هو أن المكتبات الإسبانية والفرنسية نفسها تضم عشرات الكتب التي تتكلم على الخطابي وجهاد الريف.

وتزداد الإشكالية كلما اكتشفنا أن ما كتب بالعربية لا يصلح معظمه للقراءة، لما جاء به من أفكار مزيفة ومغلوطة، استخدمت معظمها لأغراض سياسية وإيديولوجية مقيتة، لا علاقة لها بالتاريخ والبحث العلمي. فمحمد بن عبد الكريم الخطابي الذي نتحدث عنه رجل متعدد في هذه الكتابات، هو عند البعض مجاهد إسلامي، وعند البعض قائد عسكري، وعند البعض الآخر جندي ثائر وقائد حرب العصابات، وهو الأسد والأمير والمجاهد والقائد والسلطان، أما ما قام به فهو أحيانا جهاد من أجل الدين، وأحيانًا ثورة من أجل الحكم، وأحيانًا أخرى حربًا ومقاومة عسكرية من أجل الجمهورية واستقلال الريف...إلخ. ولعل الإشكال الذي قاد الباحثين إلى الوقوع في هذه التقسيمات الخاطئة لمحمد بن عبد الكريم الخطابي – بالإضافة إلى التصور الإيديولوجي التي ينطلق منه كل كاتب-هو عدم وضع الخطابي في سياقة التاريخي الذي عاش فيه، وعلاقة ذلك بما كان يمر به العالم الإسلامي آنذاك، ضف إلى ذلك أن الخطابي، ما هو إلا حلقة من سلسلة الحروب التي عاشتها منطقة شمال الغرب الإسلامي والريف خاصة.

لقد تعرضت منطقة الريف لسلسلة من الحروب[١٣] إثر الغزو الأوربي قبل حرب الخطابي ما بين ١٩٢١-١٩٢٧م، وكان قد سبقتها حرب الريف الأولى ما بين ١٨٩٣-١٨٩٤م، وحرب الريف الثانية ما بين ١٩٠٩-١٩١٤م، قادها المجاهد الشريف محمد أمزيان. إلا أن الخطابي كان جهاده هو الأعظم والأشهر، وقد بدأ سنة ١٩٢١م، بعدما وصل الإسبان إلى تطوان في الشمال الغربي وأنوال في الشمال الشرقي، واستمرت إلى أن استسلم الخطابي في ماي سنة ١٩٢٦م.

والجدير بالذكر أن المجاهدين في الريف المغربي أصبحوا بعد استشهاد أمزيان في حالة من التشتت، وبالتالي كانوا في حاجة إلى قيادة، فاهتدى ذلك إلى سيدي محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي طور أساليبه وامتاز عن سابقيه"[١٤]. ثم إن معركة الخطابي جاءت في وقت كشرت فيه الدول الأوربية عن أنيابها لتقسيم إفريقيا واحتلالها لاستنزاف ثرواتها وتوفير المواد الخام وتنمية مشاريعها الاقتصادية والعسكرية.

وقبل هذا وذاك فالاحتلال الأوربي للعالم الإسلامي سواء في المشرق أو المغرب، ما هو إلا مرحلة جديدة من الصراع الأزلي والدائم بين الإسلام والكفر، وحلقة أخرى من سلسلة الحروب الصليبية التي دمرت العالم الإسلامي، فبلاد المغرب بدأت في التعرض للاحتلال الأوربي وحملاته منذ بداية القرن الخامس عشر، حيث قامت إسبانيا باحتلال بعض المواقع في الشمال المغربي سنة ١٤٥١م، ومدينة مليلية التي ما تزال محتلة إلى يومنا هذا سنة ١٤٩٧م[١٥]. إلا أن بداية القرن العشرين تصاعد الاحتلال الأوربي بسبب انهيار الدولة العثمانية، والتنافس بين الدول المحتلة الغازية لبسط سيطرتها ونفوذها في إفريقيا، حيث احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠م، وتنازلت فرنسا لبريطانيا عن حقوقها في مصر مقابل اعتراف بريطانيا بحق فرنسا في فرض الحماية على المغرب ودخلت ألمانيا حلبة الصراع لخلق مصالح لها في المغرب، وتنازلت عن ذلك بعدما تسلمت الكونغو من فرنسا[١٦].

يقول عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، موضحا هذا السياق العام: "وكانت فرنسا قد استقرت في أوائل القرن التاسع عشر في الجزائر، ثم بدأت تبحث لها عن موضع قدم على الساحل الغربي من القارة، وازداد تطلعها نحو النيجر والغابون، وأثار هذا التوسع الفرنسي قلق باقي دول الاحتلال ودخلت دول أخرى إلى حلبة الصراع على تقسيم كعكة إفريقيا. وازداد التكالب باحتلال فرنسا لتونس سنة ١٩٨١، وانجلترا لمصر سنة ١٩٨٢م.

وقد نظم مؤتمر برلين سنة ١٨٨٤، وكان همه الأساس هو تقسيم المستعمرات بين الدول العظمى، دون الدخول في الصراعات القاتلة فيما بينها. وهكذا تغيرت الملامح الرئيسة لتلك القارة الإفريقية، بعد أن نظمت عمليات السيطرة، وتنتهي بذلك قصة الصراع الأوربي على إفريقيا، وظلت بصمات هذا المؤتمر وآثاره السياسية تنعكس على القارة الإفريقية حتى بعد استقلالها، وستظل مشكلات الحدود الإفريقية بشكلها الراهن، وهي ثمار مؤتمر برلين لعام ١٨٨٤-١٨٨٥م، كما أبرز المشكلات التي تواجه أبناء إفريقيا في مسيرة التقدم الاقتصادي والاستغلال الوطني لمواردهم التي مزقها الأوربيون، واستغلوها بشكل سيء طوال الحقبة الاستعمارية.[١٧]

ولئن كان الجميع اليوم يركز على أزمة البلقان، والصراع الفرنسي الألماني على الحدود واغتيال ولي عهد النمسا وأهله على يد طالب سربي، باعتبارها من الأسباب المباشرة في اندلاع الحرب العالمية الأولى التي استمرت ما بين يوليو ١٩١٤م، ونوفمبر ١٩١٨م، فإن صراع الدول العظمى على تقسيم العالم العربي والإسلامي، كان من الأسباب الرئيسة في تلك الحرب، وهو في نهاية المطاف ما هو إلا مرحلة جديدة من الصراع الثنائي بين الكفر والإيمان.

وجد الخطابي نفسه في شمال المغرب وجها لوجه مع فرسا وإسبانيا بعد الحرب العالمية الأولى، وهما في كامل استعدادها لتقسيم العالم الإسلامي، والزحف نحو إفريقيا، بحثا عن تقوية صناعتهما وتوفير المواد الخام، استعدادا للحرب العالمية التي ستنهي بها وحدة العالم الإسلامي، فدافع وجاهد، وكان شعاره الإيمان، والإيمان وحده، يقول الأستاذ ياسين: "الإيمان، والإيمان وحده، كان الكلمة النهائية لملحمة تاريخية أبطالها من طينة غير طينة النفاق، من معدن إسلامي خالص"[١٨]. وهذا المارشال ليوطي يعترف بجهاد الخطابي وسعيه من ذلك الجهاد المستميت، قال ليوطي: "إن سماحنا لعبد الكريم بتحقيق بأي انتصار علينا، إنما يعني قيام إمبراطورية عربية إسلامية على شاطئ البحر المتوسط. وهذا فتح إسلامي لأوربا من جديد. وهو أمر لا يمكن التسليم به"[١٩]. وقال: "ها هي دولة إسلامية قوامها قومية شمال إفريقيا تنشئ نفسها في المغرب"[٢٠].

هكذا، إذن، وجد الخطابي نفسه مضطرا للدفاع على العالم الإسلامي الذي وقع فريسة للغرب الكافر، ولم يكن جهاد وطن ضد الاحتلال فقط، وقد جاء ما بين الحربين العالميتين، حيث سقط العالم الإسلامي قبله، وخططت الدول العظمى لتقسيمه وإنهائه وحسم الصراع حوله بحرب عالمية ثانية، وقد كان الخطابي يريد توحيد شمال إفريقيا كبداية لتوحيد الأمة، فكان أمام وحش الغرب الذي كشر أنيابه للفتك بالإسلام والمسلمين، وسيتضح هذا أكثر في المحور الأول من المبحث الثاني، حيث سنحاول أن نبين فيه واقع الأمة الإسلامية في المرحلة التي خاض فيه الخطابي ثورته الجهادية ضد فرنسا وإسبانيا.

ثانيًا: الخطابي من جمهورية الريف إلى توحيد العالم الإسلامي

نستعمل هنا جمهورية الريف، لا لأن الخطابي كان يريدها جمهورية، كما رُوّجت الفكرة، وربما روجت كذلك لأنها أرادت أن تبعد الناس عن الهدف الحقيقي الذي كان ينشده الرجل، بل نستعملها لننتقل من هذه المغالطة التاريخية إلى الهدف الحقيقي لسيدي محمد بن عبد الكريم الخطابي، وهو السعي لتوحيد الغرب الإسلامي، والتصدي للتقسيم الاحتلالي الممنهج. ولما رأينا رفع الحجب عن واقع العالم الإسلامي في تلك المرحلة أمرا ضروريا لفهم غاية الخطابي، اخترنا التذكير بتلك الأوضاع، وذلك السياق العام، وركزنا بشكل كبير على بلاد الغرب الإسلامي، والأرض المباركة (أقصد بيت المقدس)، نظرا لعلاقة الخطابي بفلسطين، ثم ختمنا المبحث بحلم الخطابي في الوحدة، وما بذله من جهود لتحقيق ذلك.

١/٢-وضع العالم الإسلامي في مرحلة الخطابي

بدأ الصراع الأزلي بين الحق والباطل؛ بين الإيمان بالله الواحد والإلحاد منذ قصة أدم عليه السلام مع إبليس كما وردت القصة في سور عديدة من القرآن الكريم[٢١]. ثم تجسد هذا الصراع على شكل حروب دموية استمرت قرنين من الزمن، قام بها الأوروبيون من أجل السيطرة على القدس والأماكن المقدسة التي كانت تحت حكم المسلمين. وقد كانت الحروب الصليبية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر دموية، وخلفت خسائر كبيرة، كانت الكنيسة وراءها والصليب شعارها، هذه هي الحقيقة، وهي التي صنعت من جديد الاحتلال الأوروبي للبلاد الإسلامية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

فقد بدأ توجه الدول الغازية الأوروبية إلى إفريقيا، لما أحست بضرورة تقوية هياكلها وصناعتها، وقد جاءت العملية العسكرية بعدما أسست هذه الدول جمعيات استكشافية؛ قامت بدراسة وأبحاث في إفريقيا، ثم بدأت بتكوين مستعمراتها، ولكن هذه المبررات في الحقيقة لم تكن هي الوحيدة وراء ذلك الغزو، فقد كانت هناك أساب أخرى مضمرة،

يمكن فهمها من البحث في أطراف الصراع في أوروبا، حيث تصدت مختلف الحركات الإسلامية في إفريقيا للدول الغازية، واعتبرت ذلك استمرارا للحروب الصليبية[٢٢]، بل إن مختلف الحركات التحررية في كل البلاد العربية، كان منطلقها الزوايا الصوفية والحركات الإسلامية والعلماء المسلمين[٢٣]، وقد أنشأت إسبانيا مستعمرات لها في لإفريقيا، واحتلت بريطانيا جنوبها، ودخلت في صراعات مع الألمان في شرق إفريقيا، ومع فرنسا في غربها، ثم بدأ الزحف الفرنسي على شمال المغرب في مرحلة ثانية.

أسهمت هذه الأسباب وغيرها في اندلاع الحرب العالمية الأولى، وتم القضاء على وحدة الأمة. كانت العرب قد شاركت في الحرب العالمية بجانب الحلفاء، بعدما وعدتهم بريطانيا بوحدة الوطن العربي في استقلال عن الدولة العثمانية، ثم تفاجؤوا بمعاهدة سايكس بيكو التي أبرمت سنة ١٩١٦ بين فرنسا وبريطانيا، وتم تقديمها في نوفمبر من ١٩١٧م، لتقسيم العلم العربي، ثم وعد بلفور الذي دعم إنشاء وطن قومي للكيان الصهيوني في فلسطين، وانتهت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ بانهزام الدولة العثمانية. بدأت الدول العظمى في الزحف لتقسيم الغنيمة. قال الغزالي: "تقسم بينها الأسلاب، وكأنها تستولي على ميراث ليس له صاحب، ثم إن الفاتح الجديد لم يضع وقته سدى! لقد رسم سياسة دقيقة بعيدة المدى لتفتيت الكيان الذي سقط في يده وإماتة خصائص الحياة والإباء فيه. فرمى بأوزاره كلها على البلاد يحاول محق عروبتها، وطمس تاريخها، وتلويث ينابعها الفكرية والعاطفية..."[٢٤].

سيطرت بريطانيا على فلسطين منذ ١٩٢٠م، واحتلتها من سنة ١٩٢٣م إلى ١٩٤٨م، وحكموا العراق إلى ١٩٣٢م، في الوقت الذي احتلت فيه فرنسا كل من سوريا ولبنان إلى سنة ١٩٤٦م. في سنة ١٩٢٠م كذلك انعقدت مؤتمرات كثيرة، منها مؤتمر لندن المنعقد في فبراير من ذلك العام، وبعده معاهدة سان ريمو تطبيقا لسايكس بيكو المشهورة، حيث حددت مناطق النفوذ لكل من فرنسا وبريطانيا، فقسمت سوريا الكبرى التي كانت تضم كل من سوريا ولبنان والموصل في العراق وجزء كبير من جنوب الأناضول تحت الانتداب الفرنسي، والأردن وفلسطين بالإضافة إلى العراق تحت الانتداب البريطاني.

أما المغرب القديم، أي الغرب الإسلامي، فقد احتلت فرنسا معظم إفريقيا، ومنه الشمال، خاصة المغرب وتونس والجزائر وموريتانيا، وقد كانت تونس تحت نظام الحماية منذ سنة ١٨٨١، إلى حدود ١٩٥٦م، والمغرب منذ ١٩١٢م، إلى حدود سنة ١٩٥٦م

كذلك، بينما تعرض بلاد الشهداء، الجزائر لأكبر مدة احتلال امتدت من ١٨٣٠م إلى حدود سنة ١٩٦٢م، وموريتانيا من سنة ١٩٢٠م، إلى سنة ١٩٦٠م. أما ليبيا فقد انتهت الحرب بين تركيا وإيطاليا سنة ١٩١٢، فاحتلت إيطاليا ليبيا، وقسمت أراضيها، ثم تحولت منذ سنة ١٩٤٣م حيث أصبحت تحت الاحتلال البريطاني إلى سنة ١٩٤٧م، فحصلت على استقلالها، وقد احتلت إيطاليا دول الصومال كذلك. أما باقي الدول العربية والدول التي نشطت فيها الحركات الإسلامية بمختلف مناطق إفريقيا، فقد تعرضت للاحتلال الأوروبي خاصة الاحتلال الفرنسي.

٢/٢-الخطابي وحلم توحيد الغرب الإسلامي

لقد سبق أن عرفنا ولو بشيء موجز واقع معظم الدول العربية والإسلامية فيما بين الحربين العالميتين، خاصة ما بين ١٩٢٠-١٩٢٦م؛ حيث استطاعت الثورة الريفية بقيادة الخطابي، إزعاج دول الاحتلال، والوقوف أمامهم سدا منيعا، رغم الضعف والهوان الذي سيطر على معظم بلاد الإسلام في تلك المرحلة، جراء الاحتلال الأجنبي. قال جرمان عياش: "فإن الريفيين أثاروا الدهشة، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، كأبطال لمأساة اتخذت طابعا مهولا، إلى حد أنها زعزعت مجموع الحياة السياسية والاجتماعية في إسبانيا، وهددت لوقت معين السيطرة الفرنسية في إفريقيا الشمالية، واستقطبت الانتباه في العالم لمدة خمس سنوات تقريبا"[٢٥]. هكذا، إذن، كان الخطابي صامدا في وقت احتلت فيه البلاد الإسلامية، فازداد ضغط الاحتلال الأجنبي عليه، خاصة وأنه في ريف شمال المغرب؛ الذي يطل على دولتي الاحتلال فرنسا وإسبانيا، ودول أخرى كانت تطمع في غزو إفريقيا لنهب ثرواته واستعباد أهله إلى الأبد مثل البرتغال وإيطاليا وألمانيا وغيرها.

لقد واجه الخطابي قوتين دوليتين بجماعة من المجاهدين لا يملكون غير الإيمان الصادق في قلوبهم، فألحق هزائم وخسائر تاريخية بالعدو التي استثمر أحدث الآلات والسائل الحربية، فكان الخطابي قبلة لأحرار العالم، فتشي جيفارا زار القاهرة عام ١٩٦٠م، ليلتقي بالمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، وكان هو شي منه يناديه أستاذي، واعتبره ماوتسي تونغ مبدع حرب العصابات، وكان محل تقدير من كل الحركات الوطنية والإسلامية مشرقا ومغربا[٢٦]. قال المساري: "إن الأحداث الجليلة التي شهدتها المنطقة الواقعة ما بين نهر أمقران وجبل غرغيز على مشارف تطوان، هي قصة ملحمة بدأت بـ ١٨ بندقية، هزمت جيوشا جرارة، وصل تعدادها في أحد الأوقات إلى ٣٦٠ ألف مقاتل، كان عتادهم يمثل بالإضافة إلى دباباتهم

وطائراتهم أحدث ما أنتجته الصناعة الحربية الأوروبية في ذلك الوقت"[٢٧].

والحق أن معظم العلماء والباحثين يدركون قوة وأهمية المقاومة الريفية، ومدى صمود المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، لكن قليل منهم من يدرك الهدف الذي كان ينشده الخطابي من وراء مقاومته وجهاده، فقد كتبت مؤلفات تناولت المقاومة الريفية لكن معظمها تصف الخطابي بأنه رجل حرب دافع على بلاده ضد المحتل، وتدعي بعض الدراسات أن الخطابي ورجاله قاتلوا الإسبان والإفرنج دفاعا على القبيلة والقضية الأمازيغية، فيجردون الرجل من دينه وإيمانه، وغير ذلك من الادعاءات التي تكذبها خطب الخطابي وكلماته وأقواله.

ولأن هدفنا في هذا المحور هو تأكيد سعي الخطابي إلى توحيد الغرب الإسلامي وبعده العالم الإسلامي الذي فقد قوته ووحدته بسبب الاحتلال الأجنبي، فإننا سوف نورد أولاً جملة من خطبه وكلماته ثم نناقشها، لتأكيد هدف الخطابي النبيل، ومنها:

أولاً: كتب الخطابي بعد أشهر من تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي في البند الأول من ميثاق اللجنة: "المغرب العربي بالإسلام كان، وبالإسلام عاش، وعلى الإسلام يعيش في حياته المقبلة"[٢٨].

ثانيًا: قال الخطابي: "لا ريب أن الذي ساعدنا على محاربة الأعداء سنوات لم تمر فيها لحظة دون موقعة أو معركة أو ضحايا، هو الإيمان، والإيمان وحده، إن الإيمان هو العامل الأساسي، وهو السلاح الأقوى في كل الحروب التحريرية، بل في كل عمل جدي"[٢٩].

ثالثًا: نشرت مجلة آخر ساعة، بتاريخ ١٩٥٢/٠٧/١٨، تصريحا للخطابي قال فيه: "ومن سوء حظي أنني عشت لأرى أفكاري هذه تشتت، ولأشهد مصارعها واحدة تلوى الأخرى. فقد دخلت الانتهازية، وحمّى المتاجرة في قضيتنا الوطنية (...) ووجد من بين أعضاء هذه اللجنة من يسعى لتفتيت وحدة قضيتنا وتجزئتها. ففي الوقت الذي كنت أفكر فيه لإدماج بلدان المغرب العربي في مشكلة واحدة، نشأ –ولا أدري كيف-اتجاه لتقسيم هذه البلدان إلى وحدات منفصلة"[٣٠].

رابعًا: جاء في خطبة لمحمد بن عبد الكريم الخطابي، أوردها المؤرخ والأديب المغربي عبد الله كنون في كتابه (أحاديث عن الأدب المغربي): "إخواننا المسلمين، ندعوكم باسم الرابطة الدينية أن تهبوا جميعا إلى تفكوا رقابكم من عدوكم الذي يريد أن يستعبدكم بالكيد والعدوان، إنه والله لخزي عظيم أن يخضع المسلم لعدوه وعدو دينه، وأن يحتمي بحماه (...) فكيف يليق بمن يروم العز والفوز أن يتقاعد عن الجهاد، ولا يسارع إلى نصرة إخوانه، وإنقاذ وطنه من أيدي الطامعين العابثين الذين يسعون في الأرض فسادا ولا يصلحون، ما ذاك إلا من ضعف الإيمان، وموت الهمم، والرضا بالهوان، والواجب على العلماء والوعاظ والخطباء الذين هم قادة الأمة وهداتها، أن ينصحوا العامة ويرشدوهم إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم، ويبينوا لهم أن الواجب العيني يطلب من كل فرد القيام به، ولا يغني فيه زيد عن عمرو، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل"[٣١].

خامسًا: أورد صاحب الظل الوريف خطبة للأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي في أهل النواحي الجبلية جاء فيها: "السيرة التي يتعين عليهم سلوكها هي الانصاف والمباعدة من ظلم الناس والانتصار للحق (...) وعلى كل حال فنحن ندافع عن وطننا ضد كل استيلاء عليه. ونحن إخوة الإيمان نعمل بمقتضى ديننا في مدافعة الحزب الاستعماري عن أرضنا. بما أمكننا. وأخبروا إخوانكم من القبائل الجبلية بأن الاسبان هو العدو للدين، وما مقصوده إلا محو الإسلام من الريف، ومن القبائل التي احتلوها، فليقوموا على ساق الجد في إبعاده بأي وجه كان، وإن الموت أهون للإنسان من إهانة الدين وهتك العرض"[٣٢].

ومن خلال استنطاق كنه هذه الخطب والجمل التي اقتبسناها من كلام الرجل في مناسبات مختلفة ومتعددة، يتبين بوضوح سعي المجاهد الإسلامي إلى مواجهة الاحتلال الأجنبي بمنطلق ديني إيماني، وسعيه إلى توحيد الغرب الإسلامي، إيمانا صادقا منه بضرورة الجهاد لتحرير بلاد المسلمين من الغزو اللاديني. قال الأستاذ ياسين: "هذا الذي كان الإيمان بالله وباليوم الآخر عقيدته، وكان القرآن شاهده، وكانت سعادة الدارين مطلبه لنفسه وللمسلمين (...) كانت في ذهنه وقلبه مترادفات قرآنية: الإيمان، والإيمان وحده، اتقوا الله حق ثقاته=لا تموتن إلا وأنتم مسلمون، سعادة الدارين"[٣٣]. وقال أيضا: "مدرسة متميزة كان رحمه الله، واضحة في ذهنه مواصفات المجتمع الإسلامي الذي ينبغي أن يعتمد على إصلاحه وقوة تماسكه وقت الأزمات"[٣٤].

لقد كان الخطابي يسعى إلى تحرير البلاد الإسلامية بالغرب الإسلامي من الاحتلال الأجنبي، وفي الوقت نفسه حماية القبائل الريفية من الاحتلال الذي سيطر على مختلف البلاد الإسلامية في تلك المرحلة، فقد جمع بين الدفاع عن الوطن (القبائل الريفية)، والدفاع عن وحدة الأمة ومواجهة الغزو الأجنبي في وقت ضعفت فيه الأمة. ولم يكن الخطابي يهدف إلى تحرير المغرب، أو الدفاع عن قبائل الريف بالشمال المغربي

فقط، ولعل هذا ما جعله يُكن عداء وكرها شديدين، وشكا لا حدود له للأحزاب السياسية، لأنه يرى فيها أنموذجا تنظيميا منسوخا من الغرب، وفي رأيه أن الشعب الذي يحصل على الاستقلال تحت بعض الظروف الدولية من خلال حزب سياسي معين، لن يكسب شيئا سوى حلول الزعماء السياسيين في السلطة محل الحكام الأجانب"[٣٥]، واليوم من يستطيع أن ينكر أن الغرب لا يطمئن على دولة إسلامية، إلا إذا خلف فيها من يعينه على نهب ثرواتها واستعباد أهلها. ثم إن هذا الموقف هو الذي أدى إلى الخلاف بين الخطابي والزعماء في المكتب العربي؛ حيث "كان يريدها وحدة جامعة، وكان الزعماء يريدونها زعامات قطرية، كان يفكر تفكيرا واسعا، وكان كل منهم مرتبطا بتنظيم"[٣٦].

ثم إن الخطابي بسبب الوضع الذي يعيشه العالم الإسلامي في تلك المرحلة، كان يرى نفسه مسؤولا على العمل لتحرير البلاد الإسلامية من الاحتلال، كان هذا اقتناعا راسخا في ذهن الخطابي، وقد "كان دائما يذكر القادة والجنود أنهم أمل الأمة الإسلامية في العالم أجمع، وأنهم قدوة الشعوب الإسلامية الأخرى المستضعفة تحت ظلم الاحتلال"[٣٧].

أما فيما يخص علاقة الخطابي بأرض فلسطين وبيت المقدس وباقي العالم الإسلامي، فقد بين عدد كبير من الباحثين في دراساتهم التاريخية[٣٨]، أن الخطابي كان له دور بارز في دعم القضية الفلسطينية، كما كان تأثيره بالغا على مختلف حركات المقاومة في العالم الإسلامي بأسره. فقد كان الخطابي في تواصل مستمر مع المقاومة الفلسطينية، خاصة عندما كان في مصر، بل إن الشهيد الفلسطيني عز الدين القسام قاد مظاهرات حاشدة في كل فلسطين تضامنا مع ثورة الريف ضد فرنسا وإسبانيا، وجمع لها المال والدعم، وخطب في مساجد فلسطين بضرورة الدفاع ونصرة ثورة الخطابي، خاصة بعدما وصلتهم الانتصارات التي حققها أبطال الريف بعد معركة أنوال، واستمر التعاطف الشعبي الفلسطيني مع المغرب بعد صدور الظهير البربري الساعي إلى تمزيق المغرب بدعوى تمزيغه.

ثم إن الشهيد القسام استلهم حرب العصابات التي انتهجها الخطابي في جهاده، فأسس القسام العصبة القسامية التي قامت بدوز مهم ضد الاحتلال البريطاني-الصهيوني، واستمر تأثر المقاومة الفلسطينية بخطة الخطابي بعد استشهاد القسام، ومن ثمة فالباحث في هذا الملف يدرك أن الخطابي وثورته جزء من جهاد الشعوب العربية ضد الاحتلال الأجنبي، فقد تصدرت القضية الفلسطينية أولويات وأهداف لجنة تحرير المغرب العربي، حيث اعتبرها الخطابي جزءا لا يتجزأ من الأمة الإسلامية، وأن احتلال أي جزء منها هو احتلال للأمة بأكملها، كما اعتبر الخطابي ثورة الريف امتدادا للمشروع الوحدوي، حيث يكون القتال في الريف ضد الاحتلال الفرنسي والاسباني إلى جانب الشعب الجزائري والتونسي، وإعادة القطر المغاربي إلى دائرة الأمة العربية الإسلامية.

ولعل الرسالة التي وجهها المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي عندما كان بمصر إلى الرئيس عبد الناصر من أهم الوثائق التاريخية التي تؤكد سعي الخطابي إلى وحدة الغرب الإسلامي دون عزله عن العالم الإسلامي[٣٩]، حيث يوضح فيها الخطابي وضع المغرب وتونس والجزائر، وسعي الاحتلال إلى إبعادها عن الوحدة العربية، ووضح انتفاضة الريف وربطها بمصير الوحدة السورية-المصرية، كما عارض الخطابي الاستقلال الذي مني به كل من المغرب وتونس، واعتبره استقلالا شكليا يخدم فرنسا لاستمرار احتلالها للجزائر، وضربها للجهاد الجزائري بيد من حديد، وفصلها بين شطري الأمة (المشرق والمغرب).

أختم هذا المحور بالتذكير بقضية أراها في غاية الأهمية، وهي أن الحديث عن هؤلاء الرجال، لا ينبغي أن يكون تمسحا بهم لإضفاء الشرعية التاريخية على بعض القضايا التي توافق أيديولوجية الكاتب، لذلك فإن الإنصاف الحقيقي التاريخي يكمن في التجاء الكاتب إلى المذكرات والوثائق التاريخية، على أن يمنح للقارئ الاطلاع على المعلومات كما كتبها أصحابها، لا أن يخفي الحقيقة فيقدم للقارئ تفسيرات يصنعها وفق ما يؤمن به. أقصد هنا أن فهم الخطابي يستدعي بالضرورة قراءة خطبه التي كتبها ومذكراته، قراءة دقيقة قبل أن يتقيد القارئ بالأفكار التي تشرح الكلام الأصل وتؤوله، حيث يستطيع فهم الحقائق من المنبع الصافي، قبل أن يقرأ التأويلات، ولا بد في قراءة التاريخ أن نراعي السياق والظروف الخاصة بكل حدث، إذ إن قراءة الخطابي خارج مرحلة ثورة الريف التي كانت بين الحربين العالميتين في وقت احتُلت فيه معظم البلاد الإسلامية، مجرد ترقيم على الماء وجري وراء السراب.

خَاتِمَةٌ

إننا نستطيع فهم بعض الحقائق التاريخية، كلما نظرنا إليها من زاوية بعض الأعلام الذين عاشوا تلك الأحداث، وأسهموا بشكل من الأشكال في صناعتها. فواقع البلاد الإسلامية والعربية ما بين الحربين العالميتين، يمكن النظر إليه بشكل عام من خلال الحركات التحررية التي شهدتها معظم البلاد العربية. وقد انطلقنا في هذا البحث من حياة محمد بن عبد الكريم الخطابي؛ الذي قاد الثورة الريفية ما بين ١٩٢١م و١٩٧٦م، ضد الاحتلال الفرنسي والاسباني، وأكدنا أن قراءة تاريخ الخطابي والثورة الريفية بشمال المغرب يستدعي بالضرورة النظر إلى واقع معظم البلاد العربية الإسلامية في المشرق والمغرب، حيث كشرت فيه الدول الأوروبية الغازية الاحتلالية عن أنيابها فاحتلت البلاد الإسلامية، ونهبت خيراتها واستعبدت أهلها.

لقد كتبت بعض التآليف حول الخطابي، وإن كانت قليلة، بالمقارنة مع ما كتب حول الرجل وجهاده في الغرب. ثم إن معظم هذه الكتب العربية لكم تنصف الرجل، ولم تنظر إليه في ذلك السياق الحضاري والسياسي، ولم تستوعب سعي الخطابي رغم ما خلفه من خطب وأقوال سجلها التاريخ بكل فخر. فقد سعى الخطابي إلى توحيد بلاد الغرب الإسلامي، فحارب دولتين احتلاليتين عظيمتين، منطلقا من قناعة إيمانية وجهادية. ولم يكن محاربا ثوريا، ولا كان هدفه الريف والقبيلة واللغة البربرية، كما ذهب إلى ذلك كثير من الباحثين، ولعل ما يبرر ذلك علاقاته المتصلة بالعالم الإسلامي، كما هو الشأن بعلاقته ببلدان الغرب الإسلامي، وبالقضية الفلسطينية ومصر.

الاحالات المرجعية:

(١) محمد العربي المساري، **محمد بن عبد الكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن، المركز الثقافي العربي**، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢١٢م، ص ٢٥.

(٢) عبد السلام ياسين، **حوار الماضي والمستقبل**، سحب مطبوعات الأفق-الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧، ص٣٨، محمد العربي المساري، محمد بن عبد الكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن، ص٣٣.

(٣) مركز الخطابي لدراسة الحروب الثورية، **الخطابي ملهم الثورات المسلحة السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والاجتماعية (١٩٢١-١٩٢٦م)**، ٢٠١٩-٢٠٢٠م، ص ٢٣.

(٤) عبد السلام ياسين، **حوار الماضي والمستقبل**، ص٤١.

(٥) محمد العربي المساري، **محمد بن عبد الكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن**، ٢٩.

(٦) محمد الأوراغي، **التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي**، المملكة المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط، بحوث ودراسات، رقم ٣٦، ط١، ٢٠٠٢م.

(٧) مركز الخطابي لدراسة الحروب الثورية، **الخطابي ملهم الثورات المسلحة السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والاجتماعية**، ص ٢٤.

(٨) روجر ماثيو، **مذكرات الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي**، ترجمة عمرو أبو النصر، العباسية، مطبعة فضالة، ط ١، ٢٠٠٥م، ص٥٢.

(٩) محمد العربي المساري، **محمد بن عبد الكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن**، ص٢٦.

(١٠) روجر ماثيو، **مذكرات الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي**، ص٥٢.

(١١) محمد العربي المساري، **محمد بن عبد الكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن**، ص ٣٤.

(١٢) روجر ماثيو، **مذكرات الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي**، ص ١٢٦.

(١٣) مركز الخطابي لدراسة الحروب الثورية، **الخطابي ملهم الثورات المسلحة السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والاجتماعية**، ص٢٦.

(١٤) روجر ماثيو، **مذكرات الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي**، ص ١١٢.

(١٥) مركز الخطابي لدراسة الحروب الثورية، **الخطابي ملهم الثورات المسلحة السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والاجتماعية**، ص١٩.

(١٦) المرجع نفسه، ص ٢٠-٢١.

(١٧) راجع: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا**/ عالم المعرفة: ١٣٩، المجلس الوطني للفنون، الكويت، يوليو ١٩٨٩م.

(١٨) عبد السلام ياسين، **حوار الماضي والمستقبل**، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م، ص٣١.

(١٩) نقل عنه محمد أمزيان قوله: "الشعب في رأيي هو الشعب المؤمن بعقيدته، لأنه يعرف نفسه وشخصيته وقيمته وحقوقه. ومن هنا فلا يستطيع عدو مهما كان أن يجد في تماسكه ثغرة ينفذ منها إلى هزيمته. أما الشعب غير المؤمن فأفراده منحلون متفككون، ولا يمكن لهم أبدا أن يثبتوا أمام عدو ما مهما كان هذا العدو ضعيفًا".

(٢٠) عبد السلام ياسين، **حوار الماضي والمستقبل**، ص ٥١، محمد سلام أمزيان، **عبد الكريم الخطابي وحرب الريف**، ص ٢٠٣.

(٢١) وردت قصة أدم عليه السلام مع إبليس في ثماني سور وهي: البقرة وآل عمران والأعراف والإسراء وطه والكهف والحجر.

(٢٢) يُنظر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٣٩، يوليو ١٩٨٩م.

(٢٣) يُنظر: مقال: "**الدول العربية من المقاومة إلى الاستقلال**" لسيدي أحمد ولد أحمد سالم، موقع الجزيرة (www.aljazeera.net).

(٢٤) محمد الغزالي، **ظلام من الغرب**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٠م، ص١٠.

(٢٥) جرمان عياش، **دراسات في تاريخ المغرب**، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط١، ١٩٨٦م، ص١٩٠.

(٢٦) علي الإدريسي، **عبد الكريم الخطابي التاريخ المحاصر**، نقلاً عن: مركز الخطابي لدراسة الحروب الثورية، **الخطابي ملهم الثورات المسلحة السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والاجتماعية**، ص٢٢.

(٢٧) محمد العربي المساري، **محمد بن عبد الكريم الخطابي: من القبيلة إلى الوطن**، المركز الثقافي العربي، البيضاء، ط ١، ٢٠١٢م، ص ٩-١٠.

(٢٨) ياسين عبد السلام، **حوار الماضي والمستقبل**، ص ٣٦.

(٢٩) محمد سلام أمزيان، **عبد الكريم الخطابي وحرب الريف**، ص٢٥٠.

(٣٠) عبد السلام ياسين، **حوار الماضي والمستقبل**، ص١٧٤.

(٣١) عبد الله كنون، **أحاديث عن الأدب المغربي**، ص٦٠-٦١، نقلاً عن: مركز الخطابي لدراسة الحروب الثورية، **الخطابي ملهم الثورات المسلحة السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والاجتماعية**، ص٢١٥-٢١٦.

(٣٢) الحاج أحمد سكيرج، **الظل الوريف في محاربة الريف**، إعداد محمد الراضي كنون، الجديدة، ١٩٢٦م. ينظر كذلك، محمد العربي المساري، محمد بن عبد الكريم الخطابي: من القبيلة إلى الوطن، ص ٨٤-٨٥.

(٣٣) عبد السلام ياسين، **حوار الماضي والمستقبل**، ص٣٧-٣٨.

(٣٤) المرجع نفسه، ص٤١.

(٣٥) يُنظر: يوسف الروسي في كتابه الخطابي، نقلاً عن: ياسين عبد السلام، **حوار الماضي والمستقبل**، ص ١٧٣.

(٣٦) عبد السلام ياسين، **حوار الماضي والمستقبل**، ص ١٧٤.

(٣٧) مركز الخطابي لدراسة الحروب الثورية، **الخطابي ملهم الثورات المسلحة السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والاجتماعية**، ص ٣٤.

(٣٨) ندوة فكرية مغاربية فلسطينية في موضوع: **"دور المغاربيين في دعم نضالات فلسطين"**، نضمت بالرباط من قبل المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير بالتعاون مع جامعة الدول العربية.

(٣٩) رسالة "مذكرة خاصة عن المغرب العربي ١٩٥٩"، يُنظر: كتاب زكي مبارك، **محمد الخامس ومحمد بن عبد الكريم الخطابي وإشكالية الاستقلال**، منشورات فيديبرانت، الرباط، ٢٠٠٣م.